ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذي ادركه النظر العقلي اذ الاله الذي شرع الشرع الي
العباد انه لا يعقل كنهه لمخالفته لساير الحقايق واطال في ذلك ثم
قال ومن عرف ما قررناه علم ان الاله الذي ادركه العقل لا يحتاج
الى تاويل شي من صفاته التي ادركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى فيها
لعقولنا فيصح وصفه بالاستوا والنزول والمعية والتودد وغير ذلك
من غير تاويل انتهى قلت فما احتاج الى تاويل الا من ظن ان الاله الذي
كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التي لا
تعقل وذلك ان الحق له مرتبتان مرتبة هو عليها في علي ذاته ومرتبة
تنزل فيها لعقول عباده فما عرف الخلق منه الا مرتبة التنزل
لا غير لان الله لم يكلف الخلق ان يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه ابدا
ولو كلفهم بذلك لادي الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك
محال لتساوي علم العبيد وعلم الرب حينئذ انتهى وقد قال الشيخ
ايضا في الباب الثاني والسبعين ان التنزه به سمع في الشرع ولم يوجد
في العقل انتهى وقد انشد سيدي محمد وفا رضي الله عنه في هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقود قد قلب القلب منه القال والقيل
نحت بالفكر معبودا وقلت به وصنت عقدا بكف الحق محلول
فذعشت قبلك دهرا في مكابدة ولي فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى فعلم انه ما ترقى عن الامتثال الا الانبيا وكمل ورثتهم من الاوليا
والعلما فهولاهم الذين خرجوا عن الاوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل
عنهم تاويل صفات الله لانفسهم وانما اولوها لاتباعهم لقصور عقولهم
فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من
التشبيه الخيالي ومخاطبتنا منه لنتعقل عنه امره ونهيه فاذا تعقلنا
ما خاطبنا به ذهبت التخييلات كانها جفا وبقي معنا العلم وهذا نظير

٤١

ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا
لا نعقله الا ان كان بصوت وحروف ولو كشف عنا الغطا لوجدناه
بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالى اذا تجلى يوم القيمة يراه بعض الناس
في صورة ولو انه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك ايضا
السراب يحسبه الظمان ماء ثم اذا جاءه لم يجده شيا وقد ذكر الشيخ
محي الدين في الباب الثاني والسبعين ان للحق تعالى ان يناقش الموحدين
ويقول فيما اذا وحدتموني ولماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي
فان كنتم توحدوني في المظاهر فانتم القايلون بالحلول والقايلون
بالحلول ليسوا موحدين لانهم اثبتوا امرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتموني
في الذات دون الصفات والافعال فما وحدتموني لان العقول لم تبلغ
اليها والخبر لم يجيكم بها من عندي وان كنتم وحدتموني في الالوهية
بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فما وحدتمو
من بعقولكم فكيف ما وحدتموني لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد
لا بعقولكم ولا بي فان توحيدكم اياي بي هو توحيدي وتوحيدكم
لعقولكم هبا منثورا كيف تحكمون على حكم من خلقته ونصبته وان
كان الذي اقتضى توحيدي هو وجودكم فانتم تحت حكم ما اقتضاه
منكم فقد خرجتم عن فاين التوحيد وان قلتم ان الذي اقتضى التوحيد
توحيدكم هو امري فامري ما هو غيري فعلي بي من وصل اليكم
وان قلتم انه هو ما رايتموه مني فمن الذي راه منكم وان لم تروه مني
فاين التوحيد وانتم تشهدون الكثرة انتهى وقال في الباب الثامن
والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد
المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود ومعقول ولو انه تعالى

Copyright © King Saud University